AL-MAJALLA
Journal of the Arabic Language Academy
Haifa. Vol. 1, 2010

المجلة
مجمع اللغة العربية
حيفا، عدد 1، 2010

الناشر
مجمع اللغة العربية
האקדמיה ללשון הערבית
The Arabic Language Academy
حيفا

© جميع الحقوق محفوظة

אל-מג'לה
כתב עת האקדמיה ללשון הערבית
חיפה, כרך 1, 2010

طباعة وتوزيع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم
تلفون: 04-6354114 فاكس: 04-6356470
خلوي: 050-5206509-5957653
E-mail: darelhda@012.net.il
E-mail: darelhuda@gmail.com

مجمع اللغة العربية في إسرائيل
האקדמיה ללשון הערבית
The Arabic Language Academy
www.arabicac.com
majma1@bezeqint.net

للمراسلات

حيفا - شارع حسين شكري، رقم 2	חיפה רח' חסן שוקרי, מס' 2	Haifa- 2 Hasan Shukri St
طابق 2، ص.ب. 46134	קומה 2, ת.ד. 46134	2nd floor P.O.B. 46134
منطقة بريدية 31460	מיקוד: 31460	Zip: 31460
هاتف: 04-8622070	טל': 04-8622070	Tel: 04-8622070
فاكس: 04-8622071	פקס: 04-8622071	Fax: 04-862271

المحتويات

شلومو ألون
ابن منظور يتكلم عن مراجعه في تأليف «لسان العرب» 7

محمد أمارة
اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية 17

سليمان جبران
نظم كأنه نثر؛ التباس الحوار بين محمود درويش وقصيدة النثر 23

حسين حمزة
مسرد بيبليوغرافي في أدب محمود درويش 41

جريس نعيم خوري
بين أيوب والسياب 77

جوزيف زيدان
المسرح العربي الحديث: الرحلة إلى البدايات 107

محمود غنايم
محمود أمين العالم: بين السياسة والأدب 125

فؤاد ذيب كنعاني
مقامة المدامة الأرجوانية في المقامة الرضوانية 141

محمود كيال
التداخل اللغوي العبري في الأدب الفلسطيني المحلي 167

Abstracts I-VIII

ابن منظور يتكلم عن مراجعه في تأليف «لسان العرب»

شلومو ألون

«لسان العرب»، لغة البدو، هو معجم أحادي اللسان، عربي- عربي، ألفه محمد بن المكرم ابن منظور الذي عاش في القرن السابع للهجرة، القرن الثالث عشر الميلادي (630- 711هـ / 1232-1311م). ولد ابن منظور في تونس، وعمل قاضيا في طرابلس الغرب، لكنه قضى معظم حياته في القاهرة. خدم أيضا في أيام القائد المملوكي قلاوون، الذي حرر طرابلس من أيدي الصليبيين، في «ديوان الإنشاء»، وكان في سلك «كتّاب الإنشاء». اشتهر ابن منظور أيضا بتحريره لعدد من المؤلفات الموسوعية من نتاج مؤلفين قدماء في شتى العلوم، لا في المعاجم فحسب.

طبُع معجم «لسان العرب» ونشر في عدة طبعات، فماذا يحتوي هذا المعجم الضخم؟ ماذا يعكس هذا المعجم، وماذا يمكننا أن نتعلم بواسطته عن المعجمية العربية عامة؟ قبل أن أحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، يجدر بنا أن نذكر أن المعجمية العربية الأصلية حظيت بوصف شامل ومنهجي في إسرائيل، وذلك في أطروحة لوتر كوبف، إلا أنه لم يتطرق إلى لسان العرب بصورة خاصة أو مفصلة.

استفدنا كثيرا من المجلد الثامن من كتاب فؤاد سزجين، الذي حذا فيه حذو بروكلمان. إلا أن هذا المجلد بأكمله يعالج المعجميةَ العربية القديمة حتى سنة 430 هـ/ 1040م، قبل أيام ابن منظور. المرجع الرئيسي الذي قد تضمن معلومات وافية عن المعجمية العربية هو «المزهر في علوم اللغة» للسيوطي المتوفى حوالى مئتي سنة بعد ابن منظور. والسيوطي من أكثر المؤلفين إنتاجا في الأدب العربي، اعتمد في مؤلفه على مراجع عديدة، منها مراجع غير معروفة، فاستقى منها المعلومات عن تأليف المعاجم الكبيرة ومناهجها. لكن، لسوء الحظ، لم يذكر السيوطي أيضا لسان العرب في المزهر. وتلك واقعة غريبة جدا، لأن ابن منظور ورد ذكره في مؤلفات أخرى للسيوطي مثل «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، وفي طبقات «محمد».

لهذه الأسباب كان علينا أن ننظر في ما قاله ابن منظور نفسه في مقدمته لمعجمه، لنستخرج منها مفاهيمه ومراجعه الأولية وتدريجه لها. يقول ابن منظور في مقدمته المذكورة:«وإني لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع.

ولم أجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد ابن أحمد الأزهري، ولا أكمل من «المحكم» لأبي حسن علي بن إسمعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق. غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك.»

بناء على ما قاله ابن منظور، اعتمد لسان العرب بشكل خاص على خمسة مؤلفات معجمية قديمة:

1. تهذيب اللغة للأزهري الذي عاش في العراق (توفي 370 هـ / 980م).
2. محكم ابن سيده الذي عاش في الأندلس (توفي 458هـ / 1066م). وطريقة بناء هذين المعجمين هي طريقة التقليبات الصوتية التي تعتمد على ترتيب الجذور بحسب مجموعات أحرف ومكان المخارج الصوتية. وقد رفض ابن منظور هذه الطريقة.
3. صحاح الجوهري، وكان من أصل تركي، وعاش في نيسابور (توفي 393هـ / 1003م). هذا المعجم تم ترتيبه بحسب الحرف الجذري الأخير (طريقة القافية)، وقد تبنى ابن منظور هذه الطريقة.
4. حواشي ابن بري على صحاح الجوهري (توفي 583 هـ/ 1187 م)، وعاش ابن بري طيلة حياته في القاهرة، حوالى مئة سنة قبل ابن منظور.
5. كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (توفي 606 هـ / 1210م). وهو من أبناء الموصل، وقد كرس معجمه للكلمات النادرة وتفاسير الحديث، ورتبه بحسب الحرف الجذري الأول، كالمألوف اليوم في المعاجم المعاصرة. وقد قام بهذا الترتيب أيضا كل من ابن فارس في «المجمل في اللغة» و«معجم مقاييس اللغة» والزمخشري في «أساس البلاغة».

هناك من أدرج «جمهرة ابن دريد»، التي تم تأليفها في فارس وأخذ في ترتيبها بطريقة التقليب أيضا، في قائمة المراجع الرئيسية لمؤلف لسان العرب. هذا ما جاء به مرتضى الزبيدي في «تاج العروس»، وابن حجر في «الدرر الكامنة»، لكن ابن منظور نفسه لم يذكرها هناك، لذا فإني أشك في صحة ذلك.

نعود الآن إلى ما قاله ابن منظور في مقدمته: «ورأيت أبا نصر إسمعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره بسهولة وضعه فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه، غير أنه في جو اللغة كالذرة، وفي بحرها كالقطرة، وإن كان في نحرها كالدرة؛ وهو مع ذلك قد صحف وحرف، وجذف فيما صرف، وأتيح له الشيخ أبو محمد بن بري فتتبع ما فيه، وأملى عليه أماليه مخرجا لسقطاته، مؤرخا لغلطاته. فاستخرت لها سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك، الذي لا يساهم في سعة فضله ولا يشارك، ولم أخرج فيه عما في هذه الأصول، ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول؛ وقصدت توشيحه بجليل الأخبار وجميل الآثار، مضافا إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذكر الحكيم ليتحلى بتوشيح دررها عقده، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حله وعقده؛ فرأيت أبا السعدات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية، جاوز في الجودة حد الغاية، غير أنه لم يضع الكلمات في محلها، ولا راعى زائد حروفها من أصلها، فوضعتُ كلا منها في مكانه وأظهرته مع برهانه؛ فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج، سهل السلوك، آمنا بمنة الله من أن يصبح مثل غيره وهو مطروح متروك.

وجمعت من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثلُه مثلَه؛ لأن كل واحد من هؤلاء العلماء انفرد برواية رواها، وبكلمة سمعها من العرب شفاها، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه، ولا أقول تعاظم عن نقل ما نقله بل أقول استغنى بما فيه؛ فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة وسارت أنجم الفضائل في أفلاكها هذه مغربة وهذه مشرقة؛ فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق وقرنت بين من غرب منها وبين من شرق فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع فجاء بحمد الله وفق البغية وفوق المُنية، بديع الإتقان، صحيح الأركان، سليما من لفظة لو كان.

وأنا مع ذلك لا أدّعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت، أو فعلت أو صنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت؛ فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا، ولم يخليا فيه لأحد مجالا، فإنهما عينا في كتابيهما عمن رويا، وبرهنا عما حويا، ونشرا في خطيهما ما طويا. ولعمري لقد جمعا فأوعيا. وأتيا بالمقاصد ووفيا.

وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير. فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعُهدته على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوّل. لأني نقلت من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئا، فيقال فإنما إثمه على الذين يبدلونه، بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالفص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص؛ فليعتدّ من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة، وَلْيَغْنَ عن الاهتداء بنجومها فقد غابت لما أطلعت شمسه.

فإنني لم أقصد سوى حفظ هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، وذلك لما رأيته قد غلب، في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا. وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك، وقومه منه يسخرون وسميته لسان العرب».

في مقدمته هذه أدرج ابن منظور مبادئه في تصنيف معجمه بلهجة متواضعة غير متحمسة. فهو لا يعتبر مبدعا بحسب مقاييسنا اليوم، مع أنه ليس بمثابة «ناقل أعمى». إن تفضيله لطريقة القافية، الطريقة التي انتهجها الجوهري قبله، استثنت بصورة قاطعة طريقة التقليب التي استعملها الخليل، فاقتدى به في ذلك الكثيرون الذين ألفوا بعده. بل يمكن القول إن قرار ابن منظور هذا قد مهّد للانتقال إلى تأليف المعاجم بالطريقة الألفبائية العادية، كما أصبح معجمه مرجعا هاما للشواهد المخطوطة عن لغات القبائل وانتشار اللهجات.

كذلك هذب في معجمه طريقة «الشواهد» الشعرية، التي نُسبت أصلا إلى ابن عباس من أجل تيسير التفاسير القرآنية، مع أن الشواهد في لسان العرب لم تستهدف تفسير القرآن الكريم، بل جاءت بحسب ما قاله ابن منظور في مقدمته، لإنقاذ اللغة العربية من النسيان والميل إلى القياسية- والرغبة في البت فيما هو صحيح وما يجب إهماله. إن لسان العرب هو ذو صبغة موسوعية، حافل بالملاحظات النحوية، بالمداولات عن

الأسماء الخاصة والجغرافية، بسرد المراجع المعجمية وباقتباسات من القرآن والحديث والشعر والأمثال. إن لسان العرب لا يعكس بحثا مستقلا لأن جمع المادة اللغوية قد انتهى فعلا في نهاية القرن الثالث للهجرة، سواء من المؤلفات الأدبية أو من كلام البدو.

والحق هو أن الأزهري والجوهري، من أبناء القرن الرابع، قد ادعيا بأنهما قد أدرجا مادة جديدة قد جمعاها من أبناء البادية، ولكن ابن منظور شكك في صحة هذا الكلام في طيات مقدمته.

إن الأزهري والجوهري قد استغلا مكوثهما لدى أهل البدو لتثبيت المادة اللغوية القديمة وترسيخ أقوال تم تداولها من جيل إلى جيل. فالأزهري الذي قد قضى عشر سنوات سبيا لدى أهل البادية ذكر في مقدمته أنه جمع عنهم مواد واسعة. أما ابن منظور فهو لم يزعم أنه قد التقى بأهل البادية، وفي عهده لم يكن هناك من العرب من تكلم باللهجات القديمة. مع ذلك، بلغ عدد الكلمات في معجم لسان العرب حوالى ثمانين ألفا، وهو ضعف عدد الكلمات في كتاب الجوهري. كما وصل عدد الجذور في لسان العرب إلى تسعة آلاف، مقابل حوالى خمسة آلاف وستمائة لدى الجوهري. هذه هي مساهمة ابن منظور الكبيرة، مع أنها تحتوي في نفس الوقت على الإشكالية في استعمال معجمه. إن الكمية الفياضة من الكلمات والجذور في لسان العرب هي نتيجة واضحة لجمع المادة الموجودة في أصوله ومراجعه الثانوية.

تنبع أهمية لسان العرب من تأثيره الكبير على القواميس التي تم تأليفها بعد أيامه أيضا: القاموس المحيط للفيروزآبادي، وتاج العروس للزبيدي، ويمكن إضافة قاموس «لاين» الثنائي اللغة الذي تم تأليفه في أواسط القرن التاسع عشر. هذه المؤلفات جميعها اعتمدت على لسان العرب اعتمادا واسعا ولو لم تذكر هذا بوضوح كالقاموس المحيط. وقد اعتمد لاين على تاج العروس خاصة مع أنه يكثر من الأدلة من لسان العرب.

إن من يطلع على لسان العرب من وجهة نظر معاصرة قد يحس بالارتباك والبلبلة: فأصول اللسان متشابكة وفي مناسبات كثيرة جدا قد نجد المواد اللغوية دون ذكر الأصل. بناء على ذلك، استنتجت أن ابن منظور أخذ في بناء كل مادة في قاموسه أصلا معينا من أصوله الخمسة وجعله العمود الفقري لجذر من جذور معجمه، وضمن هذا الخط الهيكلي يستطرد من موضوع إلى موضوع، ينقل الشروح والأمثلة من المراجع المختلفة، يلاحظ الملاحظات النحوية، والسيرية والصوتية والمعجمية، ثم يعود إلى عموده الفقري.

«الرواسب» في لسان العرب

يحتوي معجم لسان العرب على عدد من الرواسب غير المرئية. وتشمل هذه الرواسب الاقتباسات النثرية والشعرية. فأنا أفترض أن الكمية الكبيرة من هذه الاقتباسات قد دخلت لسان العرب عن طريق أصوله الرئيسية، في الشواهد الشعرية خاصة.

من هذه الرواسب يجدر بنا أن نذكر بُلغة أبي البركات ابن الأنباري؛ ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العميثل؛ الأيام للفراء؛ الوحوش للأصمعي؛ الألفات لابن خالويه؛ المجالس لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

ملاحظات ابن منظور على طريقة التأليف

يحتوي لسان العرب على ملاحظات كثيرة بقلم ابن منظور نفسه، وفيها نتبين الرؤية الشاملة لابن منظور والمنهجية في بناء معجمه. بعض هذه الملاحظات توجد في أصوله الخمسة واقتُبست منها، لأنه قد تبناها لترسيخ طريقة تأليفه وكثيرا ما يختتم ابن منظور مواده بهذه الملاحظات.

فعلى سبيل المثال توجد ست وثلاثون ملاحظة ترتيب وتحرير في الجذور التي تنتهي بالهمزة على نمط «سنذكر هذا»، أو «قد ذُكر هذا آنفا»؛ في الجذور المنتهية بحرف الباء توجد ثمان وثمانون ملاحظة من هذا النوع؛ في الجذور المنتهية بحرف الفاء يحتوي المجلد التاسع من لسان العرب على أربع وخمسين ملاحظة ترتيب وتحرير؛ ومعظم هذه الملاحظات تتعلق بالمواد التي جاء بها ابن منظور في مجلداته الثمانية الأولى. لذا، فقد اقتنعت أن هذه الملاحظات ترسّخ استنتاجاتي بأن ابن منظور كان مؤلفا متزنا مدبرا، اعتبر تأليفه مجموعة واحدة شاملة.

المجلدان الأخيران من لسان العرب يعالجان الجذور الناقصة، الواوية واليائية، وقد وجدت في هذين المجلدين ما لا يقل عن تسعين ملاحظة ترتيبية. كما وجدت دقة كاملة في لسان العرب بين ملاحظاته على طريقة تحرير المؤلَّف وبين تنفيذها العملي في المعجم.

طريقة ترتيب المادة اللغوية

لم أجد في لسان العرب ترتيبا منهجيا موحدا. الترتيب المنهجي الواضح هو ترتيب الجذور بحسب الحرف الأصلي الأخير. وإذا لم يجد المؤلف جذرا حقيقيا للكلمات التي جمعها، مثل ما هي الحالة في المفردات الغريبة والدخيلة، فهو يرتبها حسب الحرف الأخير للكلمة. إن ترتيب لسان العرب هو من صنع ابن منظور مطلقا بالتأكيد، إلا أن المادة التي يشملها لسان العرب تنبني على أصوله المختلفة وتحتوي أحيانا على كلام ابن منظور نفسه.

لنفحص على سبيل المثال طريقة ابن منظور في بناء الجذور في المجلد التاسع الذي يحوي الجذور المنتهية بحرف الفاء. في هذا المجلد 396 جذرا: 94 منها تبدأ بالفعل في صيغة الماضي المجهول في وزن فعل، أو في وزن آخر في حالة إهمال وزن فعل. وتبدأ بعض الجذور بذكر أصل من أصول ابن منظور الرئيسية. 252 جذرا تبدأ بالأسماء، عموما بصيغة المصدر. في كثير من الأحيان تبدأ المادة اللغوية في لسان العرب باسم الأزهري أو باسم مؤلفه، مع الفرق الواضح بين ما قاله الأزهري نفسه وما اقتبسه ابن منظور من تأليف الأزهري.

يتضمن لسان العرب أيضا الكثير من الاقتباسات القرآنية، ولكني أظن أن هذه الآيات لم تدخل لسان العرب نتيجة مطالعة ابن منظور للسور القرآنية نفسها. فمع أن ابن منظور كان قاضيا ورجل إيمان مع العلاقة الوطيدة بالدين والعبادات، إلا أن لسان العرب لم يتمحور على الآيات القرآنية نفسها. أضف إلى ذلك أن بعض الاقتباسات لم تكن دقيقة بحسب الصيغة القانونية. كذلك تتمثل القراءات القرآنية في لسان العرب بشكل واضح، إلا أن ابن منظور، لسوء الحظ، لم يذكر من أين أخذ مقتبساته، من أية سورة وأية آية، وفي معظم الأحيان لم يذكر عمن نقل ذلك.

المادة الشعرية أيضا غنية جدا في لسان العرب. أعني بذلك أبيات شعر من فترة الجاهلية والفترة

الإسلامية القديمة. فقد تنوقلت أبيات الشعر هذه من جيل إلى جيل، وابن منظور هو الذي جمعها إلى حد بعيد. من هذه الناحية لم يجدد من جاءوا بعده – من الفيروزآبادي إلى مرتضى الزبيدي- شيئا.

أما حفّاظ اللغة الذين اعتمد عليهم أهل اللغة، فلم يبد ابن منظور رأيه في مدى ثقتهم، بل اعتمد ما جاء به الفصحاء على اختلاف أنواعهم، مع ذكر مصدره أو حذفه.

يحفل لسان العرب أيضا بالمادة القواعدية النحوية والصرفية المقتبسة من أصوله الرئيسية ومراجعه الثانوية. لم يستغن ابن منظور عما كتبه الذين سبقوه، ولذلك تكدست في لسان العرب أقوال كثيرة جدا من أوائل النحويين كالخليل وسيبويه وغيرهما، إلى جانب المادة الواسعة التي قد تعكس حالات لغوية من المناطق التي عاش العرب فيها.

يمكنني القول بصورة عامة إن تصريح ابن منظور في مقدمته للسان العرب عن أصوله الخمسة قد أغناه عن إعادة ذكر مراجعه في سياق كلامه، إذ لم يكتب ابن منظور بحثا ولم يكن بحاجة إلى الملاحظات العلمية. فهو قد استوعب أصوله بكل ما فيها من معلومات واستخدمها كما يحلو له. بين الحين والآخر، يلاحظ أن ابن منظور انتقد أو مدح مرجعا أو آخر، وأكثر من ذكر مؤلفات وأسماء لم يكن يتقنها بنفسه لأنه قد اعتمد على أصوله الرئيسية وأخذ منها كل ما فيها، إذ لم يكن لدى ابن منظور جهاز أو طريقة لتثبيت الاقتباسات الكثيرة من أصوله.

طريقة استخدام الأصول

يمكنني القول إن ابن منظور انتهج طريقة «الخياطة الفنية» التي لم تحظ بالوصف الكافي، وهو ما فات معظم الذين كتبوا عن المعاجم العربية القديمة، وتتمثل «الخياطة الفنية» في ترقيع مراجع مصرح بها ومراجع غير مصرح بها. لقد أصبحت المراجع مادة خاما تم بناؤها من جديد على يد ابن منظور. لذلك فإن نقل المادة من مرجع إلى آخر لا يعني حتما ذكر اسم المرجع، المؤلف أو التأليف، وفي معظم الأحيان ليس هناك وصف دقيق لمكان انتهاء القطعة المنقولة. فمثلا يضم جذر «كتب» سطرا افتتاحيا مأخوذا من كتاب الجوهري دون ذكر المرجع، يليه نص، بما فيه شاهد من الشعر، من تأليف ابن سيده دون ذكر المرجع أيضا، وفي النهاية يورد قطعة من كتاب الأزهري مع ذكر اسمه، ولكن من غير الإشارة إلى مكان انتهاء هذا الاقتباس. يمكنني القول إن ابن منظور كان قد حدد أصلا مركزيا واحدا لكل جذر بمثابة المحور المركزي الذي كان يعود إليه من حين إلى آخر، خاصة في الجذور التي عالجها بإسهاب.

هل يمكن الإشارة إلى تقييمه لأصوله وطريقة ترتيبها؟ وهل يمكن أن نستخلص مكانة كل مرجع في المادة اللغوية في لسان العرب؟ مما قاله ابن منظور في مقدمته لمعجمه يمكن الاستنتاج بأنه فضل تأليف الجوهري وحواشي ابن بري، وذلك رغم عبارات الإعجاب والتقدير العظيمة لمؤلفات الأزهري وابن سيده.

عن ماهية نص لسان العرب كله

تنعكس القضايا الأساسية حول ماهية المادة المعجمية في الكثير من جذور لسان العرب. فجذر «صدف»، مثلا، تم بناؤه من مرجع ثانوي قديم (أبو عبيدة) من غير أن يذكر ابن منظور ما هو الأصل الرئيسي الذي أخذ

المادة منه؛ تليه ثلاث كلمات مرادفة: أصدف، أردف، أشدف؛ يليها البحث في إمكانية استعمال هذه الكلمات كأضداد- أضاء وأظلم؛ وفي الختام استعمال العبارة المألوفة لدى ابن منظور «ويقال». إن ذكر المراجع في سياق البحث في لسان العرب معقد جدا. ففي بعض الأحيان لا يذكر المرجع البتة، وفي بعضها يذكر اسم المرجع، الأصلي أو الثانوي، في نهاية الاقتباس بمثابة تكملة فقط؛ وفي بعض الأحيان يستنتج معنى الكلمة من شواهد شعرية من غير إثبات المرجع؛ كما يؤكد ابن منظور أحيانا صحة المادة المقتبسة.

هل أجاد ابن منظور لغات أخرى عدا اللغة العربية؟ في لسان العرب تتوفر الملاحظات عن الأصل الفارسي للكلمات، والمقارنات بالفارسية، أو وصف عملية دخول كلمات فارسية إلى اللغة العربية.

كثيرا ما ينتهي البحث في لسان العرب بعبارة «والله أعلم»، وهذه العبارة كانت شائعة في الكتابة في القرون الوسطى. إلا أنني أظن أنها في معظم الأحيان عبارة أصلية لابن منظور نفسه في معجمه.

يمكنني أن أضيف أن ابن منظور حاول قصارى جهده أن يبدأ جذوره باسم من أسماء الله الحسنى كلما وجدت هذه الأسماء في الجذر.

لم يرد في لسان العرب مصطلح «قاموس» بمعنى «معجم». فقد مرت حوالى مئة سنة حتى ألف الفيروزآبادي «القاموس المحيط» الذي أصبح «المعجم المركزي» فهمّش لسان العرب في الزاوية.

كان ابن منظور حذرا أيضا من استعمال المصطلحات المتعلقة بفقه اللغة، لأنه كان بعيدا عن هذا العلم. وأكثر ابن منظور من ذكر ابن الأعرابي والفراء مع أنه لم يعرف مؤلفاتهما مباشرة، وأدخل اسميهما في لسان العرب عن طريق النقل غير المباشر، وفي ذلك ما يعقد تحليل المادة في لسان العرب وتقييمها.

أهمية لسان العرب

لا يقلل من أهمية لسان العرب كثرة المادة غير الأصلية الموجودة فيه. فلا يخطر في البال أن نكتفي بمؤلفات الأصمعي أو نوادر أبي زيد، ونستغني عن مؤلفات الأزهري وابن سيده والجوهري وابن بري وابن الأثير، التي استوعبت موادها من هذه المؤلفات القديمة. لذلك لا يُتصور أيضا أن نكتفي بكل هذه الأصول ونستغني عن لسان العرب الذي يحتوي على ما أخذه من هذه الأصول. فكل من تعمق في عالم المعجمية العربية يعرف يقينا أهمية ابن منظور في عملية معرفة المعاجم العربية القديمة على شتى أنواعها.

مع إكمال تأليف لسان العرب في سنة 1289م، أصبح أهم معجم للغة العربية، وبقي أوسع معجم حتى أواخر القرن الثامن عشر حين ظهر «تاج العروس في جواهر القاموس» للزبيدي.

الخاتمة

لسان العرب لابن منظور لا يشكل «نقلا لا رجاء منه»، ولا «إعادة مملة» لما جاء في المعاجم قبله. إن لسان العرب هو تجربة رائعة، فريدة من نوعها، لوصف المادة اللغوية التي تكدست في المؤلفات الكبيرة القديمة في كتاب شامل ومنهجي. إنه بمثابة إبداع مثالي يعيد صياغة المادة القديمة صياغة مستحدثة، ويكسبها معنى جديدا وأهمية قصوى بالمقارنة مع ما كان أمامه من مؤلفات سبقت زمنه.

المراجع

ابن أحمد، 1980-1985 — ابن أحمد، الخليل (1980-1985)، **كتاب العين**، (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي)، بغداد.

ابن الأثير، 1963 — ابن الأثير، مجد الدين مبارك بن محمد (1963)، **كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر** (تحقيق الزاوي والطناحي)، القاهرة: عيسى البابي الحلبي.

ابن الأعرابي، 1970 — ابن الأعرابي، محمد بن زياد (1970)، **كتاب البئر**، القاهرة.

ابن بري، 1981 — ابن بري، عبد الله (1981)، **التنبيه والإيضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح** (الحواشي) (القاهرة، 1981) (حتى وقش) (تحقيق الطحاوي).

ابن حجر العسقلاني، 1979 — ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (1979)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، بيروت:دار العلم للملايين.

ابن خالويه، 1982 — ابن خالويه، الحسين بن أحمد (1982)، **الألفات- وهو كتاب يتعرض للهمزة والألف وأنواعها في العربية**، الرياض: مكتبة المعارف.

ابن دريد، 1988 — ابن دريد، محمد بن الحسن (1988)، **كتاب جمهرة اللغة**، دار صادر: بيروت.

ابن زكريا، 1969 — ابن زكريا،أحمد بن فارس (1969)، **معجم مقاييس اللغة**، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، القاهرة،6 أجزاء.

ابن زكريا، 1986 — ابن زكريا، أحمد بن فارس (1986)، **مجمل اللغة**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن سيدة، 1998 — ابن سيدة، علي بن إسماعيل (1998)، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، (تحقيق مصطفى حجازي وعبد العزيز برهام)، القاهرة.

ابن منظور، 1881-1882 — ابن منظور، جمال الدين (1882-1891)، **لسان العرب**، مطبعة بولاق.

ابن منظور، 1968 — ابن منظور، جمال الدين (1968)، **لسان العرب**، بيروت: طبعة دار صادر.

ابن يحيى، 1980 — ابن يحيى، أحمد (1980)، **مجالس ثعلب**، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، الطبعة الرابعة.

أبو الهيجاء وعمايرة، 1987 — أبو الهيجاء، أحمد وخليل أحمد عمايرة (1987)، **فهارس لسان العرب**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الأزهري، 1964 — الأزهري، أبو منصور (1964)، **تهذيب اللغة** (تحقيق عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار)، القاهرة.

الأزهري، 1985 — الأزهري ، أبو منصور (1985)، **مقدمة تهذيب اللغة** (تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي)، دمشق.

الأصمعي، 1989 — الأصمعي، عبد الله بن قريب (1989)، **كتاب الوحوش**، بيروت: عالم الكتب.

الأعرابي، 1988 — الأعرابي، أبو العميثل (1988)، **كتاب المأثور من اللغة- ما اتفق لفظه واختلف معناه** (تحقيق عبد القادر أحمد)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الأنباري، 1970 — الأنباري، أبو البركات (1970)، **البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث** (تحقيق رمضان عبد التواب)، القاهرة: مطبعة دار الكتب.

الأنصاري، 1981 — الأنصاري، أبو زيد (1981)، **كتاب النوادر في اللغة** (تحقيق محمد عبد القادر أحمد)، بيروت: دار الشروق.

الجوهري، 1957 — الجوهري، إسماعيل بن حماد (1957)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، القاهرة: دار الكتاب العربي.

الزبيدي، 1994 — الزبيدي، المرتضى (1994)، **شرح القاموس المسمَّى تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق عبد الستار فراج وآخرين)، بيروت.

الزمخشري، 1972 — الزمخشري، أبو قاسم (1972)، **أساس البلاغة**، القاهرة: دار الكتب.

سيبويه، 1966–1977 — سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1966–1977)، **الكتاب** (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة.

السيوطي، 1979 — السيوطي، جلال الدين (1979)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، القاهرة.

السيوطي، 1987 — السيوطي، جلال الدين (1987)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، بيروت.

عمر وآخرون، 1982–1985 — عمر، أحمد مختار وآخرون (1982–1985)، **معجم القراءات القرآنية**، جامعة الكويت، 8 أجزاء.

الفراء، 1980 — الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (1980)، **الأيام والليالي والشهور** (تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري)، القاهرة وبيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

الفيروزآبادي، 1954 — الفيروزآبادي، مجد الدين (1954)، **القاموس المحيط والقابوس الوسيط**، القاهرة.

الكبير، 1984 — الكبير، عبد الله علي وآخرون (1984)، **فهارس لسان العرب**، القاهرة:دار المعارف.

קופף, 1952 — קופף, לותר (1952), הלכסיקוגרפיה הערבית - התהוותה והתפתחותה, מקורותיה ובעיותיה, דיסרציה: ירושלים.

Brockelmann, 1993 — Brockelmann, Carl (1993), *GAL, (Geschichte des arabischen Litteratur) + Supplement*, Leiden.

Lane, (1865-1893) — Lane, E.W. (1865-1893), *An Arabic- English Lexicon*, London, 8 Volumes.

Sezgin, 1982 — Sezgin, Fuat (1982), *Geschichte des arabischen Schrifttums,* VIII;Lexicographia bis ca.430 H, Leiden.